توفيق الحكيم

ليلة الزفاف

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز . ت ٩١٩٢٧٧
المطبعة النموذجية
١ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ — محمد . ١٩٢٦
٢ — شهرزاد . ١٩٣٤
٣ — عودة الروح ١٩٣٣
٤ — أهل الكهف ١٩٣٣
٥ — تحت شمس الفكر ١٩٣٨
٦ — أشعب . ١٩٣٨
٧ — عهد الشيطان . ١٩٣٨
٨ — براكسا: أو مشكلة الحكم ١٩٣٩
٩ — راقصة المعبد . ١٩٣٩
١٠ — نشيد الإنشاد . ١٩٤٠
١١ — حمار الحكيم . ١٩٤٠
١٢ — سلطان الظلام . ١٩٤١
١٣ — من البرج العاجى ١٩٤١
١٤ — تحت المصباح الأخضر ١٩٤٢
١٥ — بجاليون . ١٩٤٢
١٦ — تأملات فى السياسة ١٩٥٤
١٧ — الأيدى الناعمة ١٩٥٤
١٨ — لعبة الموت . ١٩٥٧
١٩ — حمارى قال لى . ١٩٣٨
٢٠ — أشواك السلام ١٩٥٧
٢١ — رحلة إلى الغد . ١٩٥٧
٢٢ — رحلة الربيع والخريف ١٩٦٤
٢٣ — يوميات نائب فى الأرياف ١٩٣٧
٢٤ — عصفور من الشرق ١٩٣٨
٢٥ — سليمان الحكيم ١٩٤٣
٢٦ — زهرة العمر . ١٩٤٣
٢٧ — الرباط المقدس ١٩٤٤
٢٨ — شجرة الحكم . ١٩٤٥
٢٩ — الملك أوديب . ١٩٤٩
٣٠ — مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
٣١ — فن الأدب . ١٩٥٢
٣٢ — عدالة وفن ١٩٥٣
٣٣ — أرنى الله . ١٩٥٣
٣٤ — عصا الحكيم ١٩٥٤
٣٥ — التعادلية . ١٩٥٥
٣٦ — إيزيس . . ١٩٥٥
٣٧ — الصفقة . . ١٩٥٦
٣٨ — المسرح المنوع (٢٠ مسرحية) ١٩٥٦
٣٩ — السلطان الحائر ١٩٦٠
٤٠ — ياطالع الشجرة ١٩٦٢
٤١ — الطعام لكل فم ١٩٦٣
٤٢ — سجن العمر . ١٩٦٤
٤٣ — شمس النهار . ١٩٦٥
٤٤ — مصير صرصار ١٩٦٦
٤٥ — الورطة . ١٩٦٦
٤٦ — ليلة الزفاف . ١٩٦٦
٤٧ — قالبنا المسرحى . ١٩٦٧
٤٨ — مجلس العدل . ١٩٧٢

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد

ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل لمدسيون لاتين) وترجم إلى الانجليزية ونشرت مختارات منه فى دار النشر (بيلوت) بلنـدن ثم فى دار النشر (كراون) بنيويورك فى عام ١٩٤٥

عودة الروح

ترجم ونشر بالروسية فى لينجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار «فاسكيل» للنشر ، وبالانجليزية ، نشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢

يوميات نائب فى الأرياف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ وترجم إلى الإسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١

أهل الكهف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الايطالية بروما عام ١٩٤٥ وميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦

(تابع) كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

عصفور من الشرق	ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى . ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ .
عدالة وفن	ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان « مذكرات قضائى شاعر » عام ١٩٦١
بجماليون	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
الملك أوديب	» » » » » » » »
سليمان الحكيم	» » » » » » » »
نهر الجنون	» » » » » » » »
عرف كيف يموت	» » » » » » » »
المخرج	» » » » » » » »
بيت النمل	: » » » » » » » وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢
الزمار	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
براكسا أو مشكلة الحكم	: » » » » » » » ١٩٥٠
السياسة والسلام	: » » » » » » » »
الشيطان فى خطر	: » » » » » » » »
من يوم وليلة	» » » » » » » وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣
الغش الهادئ	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٣
أريد أن أقتل	: » » » » » » » »

(تابع) كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

الساحرة	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣
دقت الساعة	: » » » » » » »
أنشودة الموت	» » » » » » » » وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣
لو عرف الشباب	: ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤
الكنز	: » » » » » » »
رحلة إلى الغد	: » » » » » » ١٩٦٠
الموت والحب	: » » » » » » »
السلطان الحائر	» » » » » » » » وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤
ياطالع الشجرة	: ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ (فى دار نشر اكسفورد يونيفرستى بريس

[الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس]

مقدمة

بعض القصص التى يضمها هـذا الكتاب قد بنى على حوادث وقعت بالفعل فى مجتمعنا ، كما أن بعضها بنى على ما يحدث فى الحياة الإنسانية . وهناك فرق بين تصوير المجتمع وتصوير الحياة ، فصور المجتمع لا بد أن يتقيد بما رأى وشاهد وعرف ، إذا أراد أن يكون صادقا ، فلا ينبغى له التعرض لبيئة أو طبقة لا يعرفها .

ملاحظة الواقع شرط من شروط التصوير الاجتماعى ... أما تصوير الحياة فأمر آخر ، لأن الحياة أشمل من الواقع ... فالحياة الإنسانية يدخل فى نطاقها الواقع وغير الواقع ، لأن حياة الإنسان ـ على خلاف حياة النبات والحيوان ـ لا تقف عند حد الوجود المادى ... بل هى تشمل الوجود فى مختلف نواحيه ، المنظورة وغير المنظورة ، المادية والروحية.

ولعل سمو قصة «هاملت» لشكسبير راجع إلى إحاطتها الكاملة بالحياة البشرية ، فى غرائزها ومشاعرها وخيالاتها وأشباحها وتفكيرها ، فيما هو كائن على الأرض وما هو غير كائن إلا فيما بعد الموت ...

حياة الإنسان هى أعجب ما فى الخليقة لأنها أوسع ما فى الخليقة.

والقصة القصيرة ، باعتبارها لوناً من ألوان الفن ، يجب أن تتناول ذلك كله فيما تتناول من شئون الإنسان فى مجتمعه وحياته ... ومهمتها فى ذلك عسيرة ... لأنها فن اقتضاب وتركيز ، شأنها فى ذلك شأن المسرحية والقصيدة .

وهذا التركيز هو الذى قد يجعل منها فن المستقبل ـ فى رأى بعض أهل الأدب العالمى اليوم ـ ذلك أن أدب المستقبل لن يحتمل الإسهاب ... وقارىء اليوم والغد يكاد تكفيه اللمحة الخاطفة لإدراك الصورة الكاملة،

وتكاد تغنيه الإشارة عن الإطناب فى العبارة ...

فالقارىء الحديث الذى يعيش فى عصر الطائرات النفاثات لن يطيق طويلا الإسترخاء فى مطالعة مئات الصفحات ليحيط بصورة من الصور أو شخصية من الشخصيات ... كما أن وجود الراديو والتلفيزيون ان يتيح وقتاً لقارىء ينفقه فى مطالعة كتاب طويل إلى جوار المدفأة ، كما يقول الأوروبيون . . . فإن ركن المدفأة الذى ترعرعت فى كنفه القصص الطويلة لأمثال بلزاك ، وفلوبير ، ودستوفسكى ، وتولستوى ، وسكوت ، وديكنز ، وغيرهم ، هذا الركن لم يعد يحتله الكتاب وحده الآن كما كان فى الماضى ... بل يشاركه فيه اليوم صناديق الفن الصوتى والمرئى وبرامج مختلفة من مسموع ومنظور ...

أترى مجد القصة الطويلة قد انقضى بانقضاء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ؟ ...

مهما يكن من أمر ، فإن طابع المسرحية والقصة القصيرة بما فيه من ضغط وتركيز وإيجاز وتلميح هو الأدنى إلى طابع العصر الحديث فى مستقبله القريب . . .

ومن يدرى ؟ ... فقد تدور الأيام دورتها وتصبح البلاغة فى عرف العالم القادم ، كما كانت فى عرف الأدب العربى الغابر ، هى بلاغة الإيجاز ، يفرضها على العالم اليوم عصر السرعة . . . كما فرضها قديماً عند العرب الرحل سرعة تنقلهم بين واحات الصحراء . . .

السرعة فى كل زمان ومكان تنمى فى الإنسان سرعة الإدراك وسرعة التلقى والاستيعاب ، فيتخذ الفن تبعاً لذلك من القوالب ما يتفق مع روح العصر والحياة . . .

ليلة الزفاف

انطلقت آخر زغاريد ذلك القران المبمون فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل ... وزف « العروسان » إلى حجرتهما بعد أن رشا بالملح من عيون الحساد ... وأغلق عليهما الباب وصارا وحدهما أخيراً ... وقد اجتازا الأعتاب نحو تلك اللحظة التى لم تخلق مثل كل اللحظات ... تلك اللحظة التى تشع كاللؤلؤة البهيجة فى تاج الزمان ... زمان كل فرد على هذه الأرض ... من الملوك إلى الصعاليك ... تلك اللحظة التى بذل فيها ما بذل ... ومن أجلها احتشد المعارف والأصدقاء، واحتفل الأهل والأقرباء، ونصبت الموائد، وقرعت الكؤوس، ولعب الفرح والأنس بالرؤوس، وحمى الرقص وارتفع الغناء، وسبح الحاضرون وعاموا فى أويقات من الهناء ... جاءت تلك اللحظة ... قمة السهرة، وقبة الحفلة، ومحراب الليلة ... لحظة الخلوة بين العروسين ... ويالها من لحظة! ... كل زوج ولاشك يذكر حيرته وهو يبحث فى رأسه عن أول كلمة يخاطب بها عروسه وقد صارا على انفراد ... أيبدأ بكلمة جدية أم كلمة فكهة ... أم كلمة عاطفية ؟ ... وكل زوجة تذكر ولا ريب إحساسها وهى تنتظر الكلمة الأولى من فم « عريسها » ! ...

أما عروس الليلة فلم يبد عليها أنها تنتظر شيئاً ... فما كاد باب حجرة العرس يغلق ، حتى تركت « عريسها » واتجهت إلى منضدة الزينة ، وجلست ووضعت رأسها الجميـــل فى كفيها ... ورأى « العريس » منها ذلك ، فأقبل عليها يقول :

— أمتعبة أنت يا عزيزتى ؟ . . . صخب العرس أزعجك فيما أرى ! ...

فلم تجب .. ولم ير العريس وجهها الذى تخفيه بيديها ، ولكنه لم يلبث أن رأى قطرة دمع تفر من بين أصابعها ، وتسقط على ثوب عرسها الأبيض ... فقال بصوت يتهدج حناناً :

— أتبكين يا سونه ؟! ...

فلم يسمع منها غير نهيج خافت .. فتألم لها .. انه يعلم السبب .. إن سنية وحيدة أمها ... وقد فقدت أباها منذ بضعة أعوام ... فالافتراق عن هذه الأم العزيزة التى كانت لها كل شىء ليس بالأمر اليســـير ... ولعل هذه الفكرة هى التى كانت تخيم عليها طول الحفلة ... لقد كانت مطرقة واجمة ذاهلة ، قليلة الكلام نادرة الابتسام فخدب عليها ، وألصق خده برأسها ، وقال لها :

— لا تبكى يا عزيزتى سونة ... ساكون لك أما وأبا وزوجا وأخا . . . ولن أجعلك تشعرين أبداً أنك فقدت شيئاً أو

فارقت أحداً ...

فأبعدت رأسها عن خده ، وأرادت أن تتكلم ، ولكن الدموع غلبتها ... فبادر هو يقول لها :

— لا تتكلمى ! ... إنى أعرف ما تريدين أن تقولى ... اطلقى دموعك ولا تكتميها ... هذا أمر طبيعى ... لست أخشى إلا على عينيك الجميلتين ... ولكن البكاء فى مثل هذه الحال يجلو النفس ، وعما قليل تشعرين بالراحة ، ويشرق وجهك ، كأنه شمس تسطع بعد مطر خفيف لطيف ...

فاهتزت كأن فى جوفها معركة ... ثم تشجعت وقالت والدمع فى عينيها :

— أريد أن أصارحك بشىء ... هل تسمح لى ؟ ...

— بالطبع يا سوتى ... بالطبع ... صارحينى بكل ما فى نفسك ... ألسنا الآن زوجين ؟ .. لا ينبغى أن يخفى أحدنا عن شريكه شيئاً ...

— نعم ، من واجبى أن أقول لك ... وأرجو أن لا تتألم أو تغضب : إنى أحب شخصاً آخر ...

لفظتها بسرعة وقوة ، ثم استخرطت فى البكاء ... ودوت هذه العبارة فى أذن العريس كأنها قذيفة ، وأذهلته المفاجأة ، فلم يحس

ألما ولا غضباً ... بل لم يشعر بنفسه ولا بما حوله ... ولا بالوقت الذى مر قبل أن يتماسك ويثوب إلى رشده ، ويعى مدلول ما سمع ... وينظر فيما ينبغى أن يصنع . وكان رجلا رزيناً عاقلا فى نحو السادسة والثلاثين ، علمته تبعات منصبه المحترم أن يزن الأمور ... فسرعان ما ضبط نفسه ، وقال بهدوء ممزوج بالمرارة والعتب المهذب :

— ألا ترين أن هذا التصريح جاء متأخر بعض الوقت ؟ ... هل كان لديك مانع من الافضاء به إلى فى أيام الخطبة أو قبل إبرام العقد على الأقل ؟ ...

— كان يجب أن يتم هذا القران إرضاء لأمى المسكينة ... كنت أراها أتعس مخلوقات الأرض كلما حاولت إقناعها بفسخ خطبتنا ... لقد كان أملها الوحيد ، وحلمها الدائم أن ترانى زوجة رجل مثلك ! ... ولقد خانتنى شجاعتى فلم أجرؤ على صدمها فى آمالها ... وهى مسنة ضعيفة مريضة ... إن الله يعلم كم جاهدت كى أكتم عاطفتى وأخنق حبى ، وكم أردت آخر الأمر أن أفهم نفسى أن الماضى قد انتهى بالزواج ... وقد خيل الى أن قلبى قد استجاب لنداء العقل ، لكنى الليـــلة ، وقد تم الأمر ، وأمسى كل شىء حقيقة ... سمعت صرخات قلبى تهزنى هزاً وتكاد تهدم كيانى ،

فأيقنت أني لن أستطيع المضى فى خداع نفسى .. ولا يليق بى المضى فى خداعك ...

كانت تقول ذلك وهى تشهق ببكائها وتنشج ... وأطرق العريس وفكر فيما أفضت به مليا ... ثم قال :

— تصرف سليم ، ولا غبار عليه ... ثق أنى من جانبى على أتم استعداد لمعاونتك فيما يتجه إليه عزمك ... الحق معك ... لا يجب أن تخدعى نفسك . . . استمعى إلى صوت قلبك . . . ومادام حبك صادقاً ... فليس لأحد عليك سبيل ... إنى أضع حريتك بين يديك منذ الآن ، وأضع نفسى فى خدمتك ، فلنتدبر الأمر معاً ... كيف نخرج من هذا الموقف أولا ؟... هبى أنى طلقتك الليلة ، ما الذى سيحصل ؟... ستكون فضيحة لن أرضاها لك ، ومصدراً للأقاويل والإشاعات حولك لن ينضب . . . ثم هى صدمة قاسية لوالدتك ... وأنت التى أشفقت عليها من صدمة أخف وأهون ! ... إذن ماذا نصنع ؟... فكرى معى قليلا ...

— أصبت ... إن طلاقى الليلة فضيحة ...

— فلنبحث عن حل غير هذا ... ابحثى جيداً ...

— ها أنذى أبحث ...

وجلس كل منهما يفكر ، وقد جعل رأسه فى كفيه ...

وأخيراً نهض العريس صائحاً :

وجدت حلا ، ربما كان فيه الخير ، ولكنه يتطلب منك بعض الصبر ، ومنى بعض القدرة على التمثيل ... ذلك أن أطلقك بعد شهر أو شهرين ، وفى خلال هذه الفترة أتظاهر أمام الناس ، وعلى الأخص أمام والدتك ، أنى فظ الخلق شرس الطباع وإنى أسىء معاملتك ... بهذا نعدها إعداداً رفيقاً لتحمل يمين الطلاق ... بل قد ينفذ صبرها هى فتحنث قبل انقضاء المدة على طلب الانفصال ، فإذا تم ذلك رأت بعدئذ حلمها ومحط أملها فى ذلك الذى اختاره قلبك ... ما رأيك فى هذا الحل ؟ ...

— مدهش ! ...

لفظتها وهى تريد أن تكفكف دمعها و « تنف » فلم تجد غير طرف ثوبها ... فأسرع العريس قائلا قبل أن تتمخط فيه :

— انتظرى ... انتظرى ... خذى منديلى ، ولا توسخى ثوب عرسك ، حافظى عليه للقران الآخر ! ..

فتناولت منديله وهى تقول :

— انك رجل نبيل ... إنى آسفة ... ماذنبك أنت حتى أعكر عليك صفو هذه الليلة ؟ ... وماذا جنيت أنت حتى تفجع هكذا فى عروسك ؟ .. ولعلك علقت آمالا كباراً على هذا الزواج ..

فأطرق لحظة ... ثم قال كالمخاطب نفسه :

— لا تذكرينى ... أقصد .. لا تعلق على هذا الأمر أهمية ...

— إنى متألمة . . .

— لا تتألمى لى ... إنى بخير ... إنك على كل حال لست مسئولة عما وقع لى ... حظى هكذا ... حقيقة لقد وضعت فى هذا الزواج أملى ، لأنى كنت دائماً رجلا شحيحاً بعواطفه ضنيناً بفؤاده ... استغرقتنى حياة العمل ، فلم أعرف من حياة اللهو إلا القليل ، ولم أعط امرأة من نفسى شيئاً نفيساً ... ادخرت كل ما فى قلبى من حب للزوجة التى هى نصيبى . . . كنت أتخيلها فى أوقات فراغى وهى إلى جانبى ، وأتخيـــل ما أناجيها به من حدب وعطف وحب وحنان ، كدستة كدنانير البخيل على مر الأعوام من أجلها ... لكن القدر أراد أن يصيبنى فيما كنزت كما يصيب أحياناً البخلاء فيما يكنزون ... لأنه يحلو له السخرية ممن يركزون همهم فى هدف ... فيتربص بهم حتى يقتربوا منه ، فيعبث به بطرف أصبعه ، فإذا جهودهم هباء ...

— كل ذلك بسببى ... أنا مجرمة ...

— لا ... مطلقاً لا شأن لك بالأمر ... إن مثلى مثل ذلك الذى ظل يجمع المال ويدخره ليشترى به عيناً ، فلما تم له ذلك

واشترى العين وجدها محجوزاً عليها أو مرهونة لآخر رهناً عقارياً ممتازاً لا فكاك منه ... فما ذنب العين فى هذه الحال ؟... الذنب ذنب الإدخار ... والبخل ... وليتنى جعلت شعارى : « انفق ما فى الجيب يأتك ما فى الغيب » ! ...

إن كلامك يحز فى نفسى كسكين . . . لست أدرى ماذا فى إمكانى أن أصنع لك ... من يدرى ؟... ربما عوضك القدر عنى خيراً .. وجاءك الغيب بزوجة أحلامك... إنى لم أكن بك جديرة . . .

— هذا لطف منك يا سو ... يا سنية ... سنية هانم ... اعذرينى ... لم أعد أدرى كيف أناديك ...

— عجباً ... نادنى كما كنت تنادينى منذ لحظة ...

— أمام والدتك بالطبع ... أما ونحن وحدنا... فلا حق لى...

— لماذا ؟ ...

— لم يعد لى حق تدليك ... أنت منذ الآن ـ كما قلت لك ـ أجنبية عنى ، ولا أدرى ماذا نصنع الآن ، ووالدتك فى البيت ، ولابد لنا من المكث فى حجرة واحدة ... اسمعى : أنت لك السرير ، وأنا لى الأرض ... هاهنا بجوار الباب فى ذلك الركن البعيد ... هيا انهضى إلى فراشك ... أنت فى أشد الحاجة إلى

الراحة الليلة ، بعد كل هذه الأحداث المثيرة لأعصابك ...

— تنام على الأرض ؟!...

— لا يوجد وضع آخر !...

— هذا صحيح ، مع الأسف ، ولكن سامحني ... أرجوك ... أهكذا أجمل ليلة عرسك على هذه الصورة غير البهيجة !...

— مالها ليلة عرسي!.. إني راض بها...هل يتاح لكل عريس مثلها ؟... ثق أنه سيظل لها دائماً في نفسي ذكرى عزيزة ...

— إنك تريد أن تنفي عني كل مسئولية... على كل حال الوقت الآن غير مناسب لمجادلتك ... فلأعد لك مكاناً مريحاً لمبيتك ... فأنت الذي أنهكتك ولا شك هذه المفاجأة غير السارة ... أرى فوق السرير « مرتبتين » فلأفرش واحدة منهما على الأرض ... وليكن توزيع المكانين بيننا بالقرعة ... ما رأيك ؟...

قال لها مبتسما :

— موافق ... إني مطمئن إلى سوء حظي ...

ونهضت من فورها ... ونهض هو ... فتعاونا على نقل إحدى حشيتي السرير إلى ركن من أركان الحجرة ... وأخذت هي في وضع الوسائد وتهيئة الفراش الأرضي ، حتى فرغت منه ، فطلبت إليه عملة من ذات القرش ، واتفقا على أن الذي يخرج له

الوجه ذو الصورة يظفر بالسرير ... ورمت بالقطعة النقدية في الفضاء ، فإذا هي الظافرة ... فقال لها :

— ألم أقل لك إني أعرف بختي ؟!...

— إني أخطأت الرمى ، فلنعد القرعة من جديد ...

— لا... لا ... من فضلك ... حافظي على مبدئك : الصراحة والصدق وعدم الخداع ... لقد كسبت أنت ، وخسرت أنا ... فلا محل للمراوغة ولا لزوم « للحمرأة »!...

فقبلت على مضض ... وخرج من الحجرة إلى أن خلعت ملابسها واندست في سريرها ، فعاد وخلع ملابسه وأوى إلى فراشه ... ومدت ذراعها البضة المرمرية إلى زر المصباح بقربها وهي تقول مستأذنة :

— هل أطفىء النور ؟...

— إذا شئت ... وأتمنى لك نوماً هنيئاً ... ومستقبلا سعيداً مع من اختاره قلبك.. وإني واثق من أنك أحسنت الاختيار... ولو أنك لم تحدثيني عنه ...

— إنه ضابط ... ملازم أول ...

— وشاب جميل بالطبع ، ويصغرني بعشر سنوات على الأقل فلا جدوى في منافسة ... ولا أمل في مقاومة ...

لفظها هامساً وهو يخاطب نفسه ، فسألته :

— ماذا تقول ؟...

— لاشيء .. أطفئي النور ... تصبحي على خير ...

* * *

مرت الأيام والزوج يمثـــل الدور المتفق عليه خير تمثيل ، ويشعر حماته برفق أنه ليس الزوج المثالى الذى كانت تتمناه لوحيدتها... غير أن المشكلة التى استعصت عليه هى مسألة الحجرة المشتركة ... إن هذه الحال بينه وبين زوجته ، المزيفة ، لا يمكن أن تدوم على هذا الوضع ..إنه لايستطيع النوم وهى معه فى غرفة واحدة ، هكذا كأنهما غريبان. وبينهما حيوان شهوان ، بالحرمان يزأر ، وبالرغبة يحأر ...إنه يحس كأن أنفاسها الحارة تلفح وجهه... كل حركة منها تطرد النعاس من أجفانه ، إذا سعلت نهض يجرد نفسه من غطائه ليدثرها به ... وإذا نفذ شعاع القمر من النافذة ، قام على أصابعه يتأمل وجهها البديع السابح فى ضوئه ، ثم يسدل بعد ذلك الأستار ، حتى لا يزعجها النور ... وإذا تقلبت على أحد جنبيها تقلب هو أيضاً ... وإذا نهضت بالليل لحاجة ، تصنع النوم العميق وكتم أنفاسه المضطربة ، حتى لاتعلم أنه يقظان ... إنها فتنة دائمة نائمة فوق سرير... ولكنها مستيقظة ثائرة ساهرة فى جوفه...

كل شيء منها يقض مضجعه ... ويحطم أعصابه وإرادته ويجعله يضطرب فى فراشه كأنه ريشة : رائحة جسدها فى أنفه ، وتنهداتها اللطيفة فى النوم ، وشخيرها الخفيف الهامس المتقطع ، وطريقتها العجيبة فى نومها ، وهى منبطحة على وجهها ، بشعرها المتدلى ونحرها العارى ووسادتها التى تضغطها وتضمها فى حضنها ... إنه لعذاب لا يستطيع أن يتحمله رجل من لحم ودم ... إنه تحمل ذلك ليلة وليلتين وثلاثا وأربع... وكاد ينقضى الأسبوع... ولكن المعى فى ذلك لفوق الطاقة والاحتمال ... كيف يصنع ؟ ... والبيت ليس فيه للنوم غير المكتب أو البهو أو قاعة حجرتهما هذه ثم حجرة أخرى تشغلها حماته ، أيبيت فى قاعة الطعام ؟... وما عسى أن يقول الخدم والحماة فى هذا التصرف من عريس ؟ ... وحماته لن تفارقهما أبداً ... إذ ليس لها غير ابنتها ملاذاً ... لم ير إلا أن يصبر صبراً جميلا ... وأن يسرع فى إنهاء مهمته ... وجعل يشتد يوماً بعد يوم فى إظهار غلظ طباعه ... وحماته تتغاضى حرصاً على هناء ابنتها ... وابنتها لم تكن متقنة لتمثيل دورها ... فما كان يبدو عليها غضب من طباع زوجها « الموهومة » ... ذلك أنها كانت تعلم أنه إذا خلا بها فى الليل جعل يعتذر لها عن إساءات النهار ... وانتهى بها الأمر أن صارت تسر لهذا اللون من التمثيل